# العجز والفقر والشفقة
# التي هي من أسس مسلك الخدمة
# عند الإمام النورسي في حل المشاكل

د. إياد فوزي حمدان(*)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

**خلاصة البحث:-**

تهتم هذه الدراسة بموضوع مهم، إذ تتعلق بمسلك الأستاذ النورسي في حل المشاكل عبر أسس ثلاثة أطلق عليها: العجز والفقر والشفقة استمدها من نور القرآن الكريم وهَدْيِهِ.

وهذه الدراسة تُبيّن مراد الأستاذ النورسي بتلك الخطوات المباركة، ووسائل إدراكها، وكيفية تجاوز العقبات والمشاكل عن طريقها، وكذلك تبين الدراسة براعة الأستاذ النورسي في الربط بين تلك الخطوات الثلاث.

وكذلك تتعرض الدراسة إلى كيفية تحقيق العبودية الحقة وإدراك جمال ربوبية الله، والاستمداد من رحمته وقدرته المطلقة عن طريق (العجز والفقر) والوصول إلى اسم الله (الرحيم) عن طريق (الشفقة) التي هي ألطف تجليات الرحمة الإلهية وأجلها.

فالدراسة تؤكد أنّ الوقوف على عتبة الرحمة الإلهية والقدرة المطلقة بتلك الخطوات كفيل بتجاوز كافة المشاكل التي يمكن أن تقف أمام خدمة القرآن والدين.

---

(*) الأستاذ المشارك بمعهد العلوم والبحوث الإسلامية /جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا/ السودان.
shamsedeen71@gmail.com

**الدراسة:-**

**طريق العجز، والفقر، الشفقة:-**

رسم الأستاذ النورسي لطلاب خدمة القرآن طريقاً واضحاً بيناً استقاه من القرآن الكريم كفيل بإزالة كل العقبات والمشاكل التي تقف أمام خدمة القرآن وتحقيق رضا الله سبحانه وتعالى.

يقول الأستاذ النورسي رحمه الله عن هذا الطريق (إن العجز كالعشق طريق موصل إلى الله، بل أقرب وأسلم إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية، والفقر مثله يوصل إلى اسم الله (الرحمن) وكذلك الشفقة كالعشق موصل إلى الله إلا أنه أنفذ منه في السير وأوسع منه مدى إذ هو يوصل إلى اسم الله الرحيم).[١]

ويؤكد أنه استفاد من فيض القرآن الكريم في رسم هذه الخطوات قائلاً (أما منابع هذه الخطوات من القرآن الكريم فهي: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النجم:٣٢) تشير إلى الخطوة الأولى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (الحشر:١٩) تشير إلى الخطوة التالية، ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ (النساء:٧٩) تشير إلى الخطوة الثالثة)[٢].

ويرى الأستاذ النورسي رحمه الله أن الآية الأولى تشير إلى عدم تزكية النفس، أما الآية الكريمة الثانية فتحض على نسيان النفس في الحظوظ والأجرة، والتفكر فيها عند الخدمة – أي خدمة القرآن – والعمل والتكليف والموت، أما الآية الثالثة فتحث المرء على أن لا يرى من نفسه إلا القصور والنقص والعجز والفقر، وأن يرى كل محاسنه وكمالاته إحساناً من خالقه الجليل.

**الاستغناء عن الناس وإظهار العجز والفقر أمام الله سبحانه وتعالى:-**

وقد حدد الإمام النورسي رحمه الله المقصود بتلك الخطوات بجلاء فمن ذلك أنه قد بيّن المقصود بالعجز والفقر قائلاً في الكلمات (... فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله سبحانه وتعالى وليس إظهاره أمام الناس)[٣].

---

(١) بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، الكلمات. جـ١ ص٥٥٨.

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات. جـ١ ص٥٥٩ .

(٣) المرجع نفسه. جـ١ ص٥٥٨ .

والحقيقة أن الإنسان عاجز وفقير ومحتاج وفقره واحتياجه ليس سبباً لذله، بل هو وسيلة لعزته بمقدار استشعاره بفقره، لأن الفقر والحاجة إلى الله وهو الغني المطلق، هو الغنى بعينه، نعم، إن الإنسان يتجه إليه تعالى بشعوره بنقطتي الاستناد والاستمداد في وجدانه والإحساس بهما، فيبلغ بنية استشعاره هذا إلى أن يدرك أنه ليس محتاجاً إلى الغير.[١]

فليس في الوجود إلا غني واحد، وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمدوا وجودهم بالدوام[٢]. يقول تعالى ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء﴾ (محمد:٣٨) ويؤكد الإمام النورسي رحمه الله في مواضع عديدة من رسائل النور على عجز الإنسان وفقره ويشير إلى مواضع الاستناد والاستمداد فنجده يقول في الكلمات – على سبيل المثال – (إن الإنسان ماكنة حيوية، يتألم بالاف الأنواع من الآلام، ويتلذذ بالاف الأنواع من اللذائذ، ومع أنه في منتهى العجز، فإن له من الأعداد ما لا يُحَدّ سواء الماديين أو المعنويين، ومع أنه في غاية الفقر فإن له رغبات باطنة وظاهرة لا تحصر، فهو مخلوق مسكين يتجرع آلام صفعات الزوال والفراق باستمرار... فرغم كل هذا فإنه يجد بانتسابه إلى السلطان ذي الجلال بالإيمان والعبودية، مستنداً قوياً، ومرتكزاً عظيماً يحتمي إليه في دفع أعدائه كافة ويجد فيه كذلك مدار استمداد يستغيث به لقضاء حاجاته وتلبية رغباته وآماله كافة).[٣]

إذ فقد بيّن الإمام النورسي بجلاء الحلول إزاء العقبات المادية والمعنوية – مع العجز – والرغبات والآمال غير المحدودة – مع الفقر –، فالمسلك هو الانتساب إلى الله، والاستناد إليه والاستمداد من أبواب رحمته الواسعة.

إذن فلا بد من إظهار العجز والفقر أمام الله، والاستغناء عن الناس، ذلك لأن الإسلام بنى حقيقة التوحيد على الصلة بالله تبارك وتعالى فيما ينوب ويروع، واليأس من الناس فيما يملكون فيه على الله بتاً، ولا يقدمون نفعاً ولا ضراً[٤]. ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ

---

(١) محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، ترجمة إحسان الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط، ٢٠٠٥م ص٢٨٣-٢٨٤ .

(٢) الغزالي: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤م.

(٣) النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات. جـ١ ص١٧٨-١٧٩ .

(٤) محمد : محمد الغزالي، خلق المسلم، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، ١٩٩٠م. ص٢٠٩ .

جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ * أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (الملك:٢٠-٢١).

لذلك فقد كان الإمام النورسي يوجه النظر إلى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ﴾ (فاطر:١٥)، وكذلك قوله تعالى ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ (الذاريات:٥٠)، حاثاً على الالتجاء والفرار إلى رحمة الله بقصورنا وعجزنا وفقرنا.[١]

إلى جانب الآيات التي استرشد بها الإمام النورسي رحمه الله في دعوته (للاستغناء عن الناس) والفرار إلى الله فقد كان في ذلك متبع للسُنّة ومنقاد لها. فقد جاء في الحديث المتفق عليه عن حكيم بن حزام رضي الله عنه. قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس[٢] بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس[٣] لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى. قال حكيم: فقلت يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ[٤] أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبوبكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء، فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم إني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء[٥] فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفي[٦].

دَلَّ الحديث الشريف على أن أخذ المال وجمعه بطرق مشروعة لا يتعارض مع الزهد في الدنيا، لأن الزهد سخاوة النفس، وعدم تعلق القلب بالمال، ودل أيضاً على

---

(١) انظر على سبيل المثال النورسي، كليات رسائل النور، المثني العربي النوري. جـ٦ ص٣٦٤.

(٢) سخاوة النفس : هي عدم الإشراف إلى الشيء، والطمع فيه والشره.

(٣) إشراف النفس : تطلعها وطمعها.

(٤) أصل الرزء : النقصان، أي لم ينقص أحد شيئاً بالأخذ عنه، والمراد لم يأخذ من أحدٍ شيئاً.

(٥) الفيء : ما أخذ من الحربيين الأعداء صلحاً، من غير حرب ولا قتال .

(٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (المال خضرة حلوة). جـ٥ ص٢٣٦٥. برقم ٦٠٧٦. وكتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى. جـ٢ ص٥١٨ برقم ١٣٦١، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب اليد العليا خير من اليد السفلى. جـ٧ ص١٠٤ برقم ١٠٣٥.

التنفير من مسألة الناس ولا سيما لغير حاجة، والحرص على أن يكون المرء معطياً لا سائلاً[١]. أو (مستغنياً عن الناس) كما عبر الأستاذ النورسي.

وقد جعل الأستاذ النورسي (الاستغناء عن الناس) نهجاً ودستوراً لحياته فرفض الزكاة والعطايا، وأعانه في ذلك قناعته واقتصاده وزهده، ولم يُعرض طيلة حياته الكريمة حاجته إلى الناس، بل كان مستنده ومدار استمداده هو الله سبحانه وتعالى.[٢]

إن الإحساس بالعجز والفقر مع اتساع دائرة الاحتياج والآمال مشكلة يؤكد الأستاذ النورسي أن حلها هو طَرْق باب القدرة الإلهية اللامحدودة والرحمة المطلقة استمعوا إليه وهو يناجي ربه قائلاً: (فدائرة الاحتياج واسعة سعة اهتداء النظر، فأينما يصل الخيال تصل الحاجة أيضاً، بينما دائرة اقتداري قاصرة كاليد، ففقري وحاجتي بسعة الدنيا إذن، ورأس مالي مثل (الجزء الذي لا يتجزأ) فأين هذا الجزء من تلك الحاجات التي تسع الكائنات، ولكنني انطلق في سبيلك من هذا الجزء كي أحظى بعنايتك. إن رحمتك المطلقة ملاذي).[٣]

**الفقر والعجز وسيلتان لإدراك جمال ربوبية الله:-**

إذن العجز والقصور والفقر هي وسائل إدراك قدرة الله وكماله وغناه ورحمته سبحانه وتعالى وذلك عين العبودية يقول الأستاذ النورسي: أيها العبد القاصر العاجز الفقير، إن في نفسك قصوراً بلا نهاية، وعجزاً بلا غاية، وفقراً بلا انتهاء، واحتياجاً بلا حد، وآمالاً بلا عد. فكما أودع فيك الجوع والعطش لمعرفة لذة نعمته تعالى، كذلك رُكّبت من القصور والفقر والعجز والاحتياج لتنظر بمرصاد قصورك إلى سرادقات كماله سبحانه، وبمقياس فقرك إلى درجات غناه ورحمته، وبميزان عجزك إلى قدرته وكبريائه، ومن تنوع احتياجك إلى أنواع نعمه وإحسانه.

فغاية فطرتك هي العبودية، والعبودية هي أن تعلن عند باب رحمته قصورك بـ(استغفر الله) وبـ(سبحان الله) وفقرك بـ(حسبنا الله) وبـ(الحمد لله) وبالسؤال... وعجزك

---

(١) وهبة الزحيلي، أخلاق المسلم، دار الفكر، دمشق، ط٤، ٢٠٠٨م. ص١٧٧.

(٢) انظر تفصيل ذلك في: النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات. جـ٣ ص٢١٥، وكذلك السيرة الذاتية. جـ٩ ص٢٧-٢٨.

(٣) المرجع نفسه، المثنوي العربي النوري. جـ٦ ص١٩٨-١٩٩ .

بـ(لا حول ولا قوة إلا بالله) وبـ(الله أكبر) وبالاستمداد. فتظهر بمرآة عبوديتك جمال ربوبيته.[١]

لذلك فإنّ الإمام النورسي يَعُدّ البلاء والمرض إحساناً ولطفاً إلهياً، إذ هو نوع من العبادة (... لا يكون البلاء بلاءً عند البعض دوماً بل إحساناً إلهياً ولطفاً منه سبحانه،... حيث أن ذلك المرض يمد صاحبه بمناعة عزيزة من حيث حياته الأخروية ويكون ضرباً من العبادة، مع أنه يمس حياته الدنيا الفانية الزائلة بشيء من المشقة.[٢]

**الارتقاء في مدارج العبادة المعنوية بالعجز والفقر:-**

يؤكد الأستاذ النورسي أنّ الالتجاء إلى الله وقصد وجهه الكريم بمشاعر العجز والفقر يحقق ما أسماه بالعبادة المعنوية يقول رحمه الله في رسالته للمرضى وهو يصف الدواء المعنوي الثاني: (أيها المريض النافذ الصبر تحمل بالصبر! بل تجمل بالشكر، فإن مرضك هذا يمكنه أن يجعل من دقائق عمرك في حكم ساعات من العبادة، ذلك لأن العبادة قسمان: الأولى: العبادة الإيجابية المتجسدة في إقامة الصلاة والدعاء وأمثالها.

الثانية: العبادة السلبية التي يتضرع فيها المصاب ملتجأً إلى خالقه الرحيم مستجيراً به، متوسلاً إليه، منطلقاً من أحاسيسه التي تشعره بعجزة وفقره وضعفه أمام تلك الأمراض والمصائب. فينال بلك التضرع عبادة معنوية خالصة متجردة من كل أنواع الرياء. نعم هنالك روايات صحيحة على أن العمر الممزوج بالمرض والسقم يعد للمؤمن عبادة[٣]. على شرط عدم الشكوى من الله).[٤]

لذلك فإن الأستاذ النورسي رحمه الله يشير إلى العبودية الحقة في المكتوبات قائلاً: (إذن فأساس العبودية وسرها هو التضرع والحمد والدعاء والخشوع والعجز والاستغناء عن الناس، وبهذا فقط يمكن الوصول إلى كمال تلك الحقيقة، حقيقة العبودية).[٥]

---

(١) المرجع نفسه. جـ٦ ص٣٦٤.

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات. جـ٣ ص١٩.

(٣) يشير الأستاذ النورسي رحمه الله إلى قوله صلى الله عليه وسلم (إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده، قال الله عز وجل: أكتب له عمله، فإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمة). حديث حسن ورواه الإمام أحمد (صحيح الجامع الصحيح وزيادته ٢٥٦) الإرواء ٥٣.

(٤) النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات. جـ٣ ص٣١٦-٣١٧ .

(٥) المرجع نفسه. المكتوبات. جـ٢ ص٥٩٠.

**الدعاء مفتاح الرحمة الإلهية ومصدر قوة متين:-**

في مواضع عديدة من رسائل النور يلح الأستاذ النورسي رحمه الله على ضرورة التوجه لله سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع لاستمداد القوة والرحمة فنجده على سبيل المثال يقول في الكلمات: (العبودية لا بد أن تكون خالصة لوجه الله، بأن يأوي الإنسان إلى ربه بالدعاء مظهراً عجزه،... لقد ثبت بالآيات البينات أن الموجوات في وضع تسبيح لله تعالى، كل بتسبيح خاص، في عبادة خاصة، في سجود خاص، فتتمخض عن هذه الأوضاع العبادية التي لا تعد ولا تحصى سبل الدعاء المؤدية إلى كنف ربٍ عظيم... فيا أيها الإنسان العاجز الفقير! إياك أن تتخلى عن مفتاح خزينة رحمة واسعة ومصدر قوة متينة، ألا وهو الدعاء فتشبث به لترتقي إلى أعلى عليي الإنسانية وأجعل دعاء الكائنات جزءاً من دعائك، ومن نفسك وكن أحسن تقويم لهذا الكون.[١]

ويؤكد كذلك أن الدعاء هو أساس العبادة، وأنه السبيل لمواجهة البلايا والمصائب والمشاكل والمصاعب، بل وتحقيق المطالب والغايات غير المحدودة في ظل عجز الإنسان وفقره المطلق يقول رحمه الله: (وحيث إن الإنسان متعرض لما لا يحصى من أنواع البلايا والمصائب ومواجهة الأعداء لما يحمل من عجز مطلق. وله مطالب كثيرة وحاجات عديدة مع أنه في فقر مدقع لا نهاية له، لذا تكون وظيفته الفطرية الأساس (الدعاء) بعد الإيمان، وهو أساس العبادة ومخها فكما يلجأ الطفل العاجز عن تحقيق مرامه أو تنفيذ رغبته بما لا تصل إليه يده، إلى البكاء والعويل أو يطلب مأموله، أي يدعو بلسان عجزه إما قولاً أو فعلاً فيوفق إلى مقصوده ذاك، كذلك الإنسان الذي هو ألطف أنواع الأحياء وأعجزهم وأفقرهم وهو بمنزلة صبي ضعيف لطيف، فلا بد له من أن يأوي إلى كنف الرحمن الرحيم والانطراح بين يديه إما باكياً معبراً عن ضعفه وعجزه، أو داعياً بفقره واحتياجه، حتى تلبى حاجته وتنفذ رغبته وعندئذٍ يكون قد أدى شكر تلك الإغاثة والتلبيات والتسخيرات).[٢]

وفي المثنوي العربي النوري يوازن الأستاذ النورسي بين الإنسان وبعض الكائنات فينتهي إلى أن الإنسان من جهة الفعل والسعي المادي حيوان ضعيف عاجز ومن جهة الانفعال والدعاء والسؤال قوي لأنه في ضيافة الرحمن الذي سخر له بدائع صنعته فهو

---

(١) المرجع نفسه. الكلمات. جـ١ ص٣٥٧-٣٥٨.

(٢) المرجع نفسه. الكلمات. جـ١ ص٣٥٥.

كائن متفوق بالتسخير لا بالغلبة، يقول رحمه الله (وكذا أن الإنسان من جهة الفعل والسعي المادي حيوان ضعيف عاجز، له دائرة ضيقة نصف قدرها مُدّ يده... ومن جهة الانفعال والدعاء والسؤال ضيف عزيز للرحمن الذي فتح له خزائن رحمته وسخر له بدائع صنعته، له دائرة عظيمة نصف قطرها مد نظره بل خياله بل أوسع... وكذا أن الإنسان بقوة ضعفه، وقدرة عجزه أقوى وأقدر بمراتب، إذ يسخر له بالدعاء والاستمداد ما لا يقتدر على عشر معشار باقتداره. فهو كالصبي يصل ببكائه إلى ما لا يصل إليه بألوف أضعاف قوته فيتفوق بالتسخير لا بالغلبة والغصب والجلب، فعليه أن يعلن عجزه وضعفه وفقره وفاقته بالاستمداد والتضرع والعبودية.[1]

وهكذا فإن العجز والضعف والفقر هي خطوات بين الإمام النورسي وأكد على كونها مفاتيح رحمة الله وقدرته، وقد تمثل الإمام النورسي تلك الخطوات وجعلها أسس مسلك الخدمة في حل المشاكل والعقبات التي لطالما واجهته، والشواهد على ذلك كثيرة، من ذلك فراره من الأسر في الحرب العالمية الأولى بتقربه بعجزه وضعفه إلى عتبة رحمة الله الواسعة يصور لنا ذلك رحمه الله قائلاً: (كنت أسيراً أثناء الحرب العالمية الأولى في مدينة قصية، في شمال شرقي روسيا تدعى (قوصترما)... وفي تلك الليالي المظلمة الطويلة الحزينة، وفي ذلك الجو الغامر بأسى الغربة، ومن واقعي المؤلم الأليم جثم على صدري يأس ثقيل نحو حياتي وموطني، فكلما التفت إلى عجزي وانفرادي انقطع رجائي وأملي. ولكن جاءني المدد من القرآن الكريم... فردد لساني﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣) .. على أي حال... فقد أصبح (عجزي) و(ضعفي) في تلك الليالي المحزنة الطويلة والحالكة بالفرقة والرقة والغربة وسيلتين للتقرب إلى عتبة الرحمة الإلهية أو شفيعين لدى الحضرة الإلهية، حتى إنني لا أزال مندهشاً كيف استطعت الفرار بعد أيام قليلة وأقطع بصورة غير متوقعة مسافة لا يمكن قطعها مشياً على الأقدام إلا في عام كامل، ولم أكن ملماً باللغة الروسية. فلقد تخلصت من الأسر بصورة عجيبة محيرة، بفضل العناية الإلهية التي أدركتني بناءً على عجزي وضعفي).[2]

---

(١) المرجع نفسه. المثنوي العربي النوري. جـ٦ ص٣٦٣. ولمزيد التفصيل عن إعلان العجز والضعف بالتضرع والدعاء والاستمداد أنظر: النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات. جـ١ ص٣٦٠ وما بعدها وكذلك ص٤١٤ وكذلك اللمعات جـ٣ ص٥١٠ وكذلك أنظر المثنوي العربي النوري جـ٦ ص٢٧٨ وكذلك الشعاعات جـ٤ ص٢١٨-٢٢٠.

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات. جـ٣ ص٣٦٠-٣٦١ .

وقد سيق الأستاذ النورسي من منفى لآخر، وزُجّ به في جحيم السجون والمعتقلات في عديد من ولايات تركيا طوال ربع قرن، وهو في كل ذلك صابر محتسب يستمد السلوى والقوة والصبر من قوله تعالى ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣).

لذا فإن العناية والرعاية الإلهية كانت تحيط به فتحول القرى التي يُنفى إليها إلى منارات نور ومراكز إشعاع[١] وتحول السجون إلى مدارس يوسفية[٢] وقد حفظه الله تعالى من خطر التسمم عدة مرات بفضل تضرعه وتضرع ودعاء طلابه الخالص[٣] وقد بلغت محاكماته رحمه الله (١٥٠٠) محكمة جميعها باءت بالتبرئة.[٤]

وهكذا استطاع إمامنا وأستاذنا النورسي رحمه الله أن يجتاز كافة العقبات والمشاكل التي كانت تقف أمام خدمته للقرآن بوقوفه على عتبة الرحمة الإلهية حاملاً معه عجزه وفقره، مؤكداً بذلك صحة ما قرره في المكتوبات بقوله (إن الظلمات لتبدد وباب النور لينفتح بالعجز والتوكل والفقر والالتجاء).[٥]

**الشفقة كإحدى أسس مسلك الخدمة في حل المشاكل عند النورسي:-**

تكمن حقيقة الشفقة والرحمة في كونها رقة في القلب وعاطفة جياشة، وحساسية في الضمير، ورهف في الشعور، تدعو صاحبها وتدفعه إلى بذل المعروف، وإغاثة الملهوف، ومنع التعدي والبغي.[٦]

وقد أكد الأستاذ النورسي أن الشفقة كالعشق موصل إلى الله إلا أنه أنفذ منه في السير وأوسع منه إذ هو يوصل إلى اسم الله (الرحيم).[٧]

---

(١) انظر مثلاً نفيه إلى (بارلا) ١٩٢٧م. النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات. جـ٣ ص٦٨ وما بعدها، والسيرة الذاتية. جـ٩ ص٢١٨ وما بعدها .

(٢) انظر تفصيل ذلك في النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات. جـ٣ ص٤٠٤، والسيرة الذاتية. جـ٩ ص٣٢٧، ٣٨٣

(٣) انظر تفصيل ذلك في النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات. جـ٣ ص٤٠٥-٤٠٦ كذلك أنظر في السيرة الذاتية. جـ٩ ص٣٢٢-٣٣٢ .

(٤) المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان النورسي، استانبول، ١٩٩٨م، عابد الهاشمي. ص٢٩٧، ٥٣٦ .

(٥) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات. جـ٢ ص٣١ .

(٦) كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، دار المناهج، الأردن، ط٤، ٢٠٠٦م. ص٢٢٨، سيد سابق، دعوة الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٣م. ص١٧١.

(٧) النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات. جـ١ ص٥٥٨ .

والشفقة مفهوم مركزي في رسائل النور ولا شك أن ذلك نابع من إدراكه – رحمه الله – لاتساع المساحة التي تشغلها الرحمة في الحياة الدينية والدنيوية، فهو يؤكد أنها من الأسس الكفيلة (بإنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام).[١]

والشفقة والرحمة الإلهية المطلقة وصف الله نفسه لعباده فقال عز وجل ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:٢-٣). قال المفسرون (الرَّحْمنِ) اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمِنّة والحلم على الخلق، والرَّحِيمِ مثله. وقيل: يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

أما الأستاذ النورسي فقد أجاد وبرع في ربطه الشفقة والفقر باسمي (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) يقول رحمه الله: (إني أرى اسمي (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) نوراً عظيماً إلى حد كبير، بحيث يحيط ذلك النور بالكون كله وأرى فيهما من القوة والسطوع لكل روح، بحيث يحققان لها جميع حاجاتها الأبدية، وينجيانها من أعدائها التي لا تحد. فقد وجدت أن أهم وسيلة للوصول إلى هذين النورين العظيمين تكمن في (الفقر مع الشكر) و(العجز مع الشفقة) أي بتعبير آخر: العبودية والافتقار).[٢]

ويقول رحمه الله في إشارات الإعجاز عند تفسيره لقوله تعالى الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ من سورة الفاتحة (الرَّحْمنِ) لكونه بمعنى الرزاق يلائم جلب المنافع والرَّحِيمِ لكونه بمعنى الغفار يناسب دفع المضار.[٣] إذن فلا مشكلة ولا عقبات ولا احتياجات بالوقوف عند عتبة الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

وكان – رحمه الله – كثيراً ما يلفت أنظار المكلومين والمرضى والشيوخ وأصحاب البلايا إلى الرحمة والشفقة المطلقة فعلى سبيل المثال نجده يخاطب الشيوخ قائلاً: (نعم إن الدلائل على وجوده سبحانه وتعالى بعدد موجودات هذا الكون، وبعدد حروف كتاب العالم الكبير هذا، وهناك دلائل وشواهد على رحمته بعدد أجهزة ذوي الأرواح وما خصهم من نعمه ومطعوماته التي هي محور الشفقة والرحمة والعناية، فجميعها تدل على باب خالقنا الرحيم والكريم، وصانعنا الأنيس، وحامينا الودود، ولا شك أن العجز

(١) المرجع نفسه، سيرة ذاتية. جـ٩ ص٣٩١ .

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات. جـ٢ ص٣٦ .

(٣) المرجع نفسه. إشارات الإعجاز. جـ٥ ص٢٨ .

والضعف هما أرجى شفيعين عند ذلك الباب السامي، وأن عهد الشيب أوانهما، ووقت ظهوره فعلينا إذن أن نود الشيخوخة، وأن نحبها، لا أن نعرض عنها، إذ هي شفيع مرتجى أمام ذلك الباب الرفيع).[١]

ويُذكّر المرضى الذين يحسون بالوحدة والغربة بأنه إذا كان مرضهم هو سبب توجه القلوب بالشفقة نحوهم فكيف ينظر رحمة أرحم الراحمين إذ يقول رحمه الله: (يا أيها المريض الوحيد الغريب العاجز! إن كانت غربتك وعدم وجود من يعيلك فضلاً عن مرضك سبباً في لفت القلوب القاسية نحوك وامتلائها بالرقة عليك، فكيف بنظر خالقك الرحيم ذي التجليات الذي يقدم نفسه إليك في بدء سور القرآن بصفته الجليلة (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) والذي يجعل جميع الأمهات بلمعة من لمعات شفقته ورأفته الخارقة – يقمن بتربية أولادهن... والذي يملأ وجه الدنيا ويصبغه في كل ربيع بتجلٍ من رحمته ويملأه بأنواع نعمه وفضله... وبتجلٍ من رحمته كذلك تتجسم الجنة الزاخرة بكل محاسنها... فما دام هو موجوداً ينظر إليك فكل شيء موجود لك، والغريب حقاً والوحيد أصلاً هو ذلك الذي لا ينتسب إليه بالإيمان والتسليم أو لا يرغب في ذلك الانتساب).[٢]

هكذا بطرق باب الرحمة والشفقة الإلهية لم تعد الشيخوخة والعجز مشكلة ولم يعد المرض والغربة والوحدة وكافة البلايا هماً ومشكلة، فلا عجب إذ نراه يقول: (فما دمنا نملك إيماناً وهو النعمة الكبرى، فالشيخوخة إذن طيبة والمرض طيب، والموت طيب أيضاً).[٣]

**الرحمة المهداة:-**

وكما لفت ونبه رحمه الله طلاب رسائل النور إلى رحمة الله المطلقة فقد تحدث في مواضع عديدة عن كمال رأفة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وغاية رحمته بأمته، داعياً إلى التمسك بسنته صلى الله عليه وسلم، يقول رحمه الله على سبيل المثال: (إن سيرته صلى الله عليه وسلم العطرة كلها، وما نشره في الآفاق من مكارم الأخلاق المكللة بالشفقة والرحمة، تُبَيِّن كمال رأفته وشفقته، كما أنه أظهر عظيم شفقته على أمته بإظهار حاجته التي لا تحد إلى صلوات أمته عليه تلك الصلوات التي تبين مدى علاقته

(١) المرجع نفسه. اللمعات. جـ٣ ص٣٥٠-٣٥١ .

(٢) المرجع نفسه. اللمعات. جـ٣ ص٣٣٧ .

(٣) المرجع نفسه. اللمعات. جـ٣ ص٣٦٦ .

الرءوفة بجميع سعادات أمته. ففي ضوء هذه الرأفة الشاملة وهذه الرحمة الواسعة لهذا المرشد الرءوف الرحيم صلى الله عليه وسلم، كم يكون الإعراض عن سنته السنية كفراناً عظيماً بل موتاً للوجدان).[١]

لقد سكب الله في قلب نبي الرحمة من العلم والحلم، وفي خلقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق، وفي يده من السخاوة والندى، ما جعله أزكى عباد الله رحمة، وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدراً[٢]. ولذلك قال فيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩)

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى تمثل الرحمة والشفقة وحض عليها في أحاديث كثيرة منها:-

- عن أبي هريرة رضي الله عنه (قيل يا رسول الله أدع على المشركين، قال: إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة).[٣]

- وعن أسامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء).[٤]

**الشفقة ألطف تجليات الرحمة الإلهية:-**

إذن فإن الدعوة إلى مسلك الشفقة مستنده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ولذلك فإن الأستاذ النورسي رحمه الله قد ألحّ وأكّد مراراً وتكراراً في رسائل النور إلى ضرورة اتخاذ الشفقة أساساً من أسس خدمة القرآن والوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى يقول رحمه الله على سبيل المثال في المكتوبات: (إن الشفقة التي هي ألطف

---

(١) المرجع نفسه. اللمعات. جـ٣ ص٢٩ .

(٢) محمد الغزالي، خلق المسلم. ص٢١٣، ولتفصيل القول في شفقة ورحمة النبي صلى الله عليه وسلم انظر: محمد سليمان المنصورفوري، رحمة للعالمين، الدار السلفية، الهند، تعريب د. مقتدى حسن الأزهر، وكذلك انظر: محمد فتح الله كولن، النور الخالد محمد، ترجمة أورخان علي، دار النيل، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م. ص٢٥١ وكذلك محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ .

(٣) يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث، قطر، ط٢، ١٩٧٢م، كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها رقم ٢٥٩٩ .

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، إخراج وتصويب محي الدين الخطيب، كتاب الجنائز. جـ٣ ص١٥١.

تجليات الرحمة الإلهية وأجملها وأطيبها وأحلاها. لهي أكسير نوراني، وهي أنفذ من العشق بكثير، وهي أسرع وسيلة للوصول إلى الحق تبارك وتعالى).[١]

ويؤكد الأستاذ النورسي على سمو هذه العاطفة مقرراً أنها لا تطلب عوضاً من المشفق عليه إذ يقول: (ثم إن الشفقة خالصة، لا تطلب شيئاً من المشفق عليه، فهي صافية لا تطلب عوضاً، والدليل على هذا، الشفقة المقرونة بالتضحية التي يحملها والدات الحيوانات والتي هي أدنى مراتب الشفقة فهي لا تطلب مقابل شفقتها شيئاً.[٢] ويقول رحمه الله: (ولقد عُدَّت التضحية التي تنطوي عليها الشفقة والحنان ذات أهمية عظمى في زماننا هذا، إذ أنها تعبر عن إخلاص حقيقي وفداء دون عوض ومقابل).[٣]

**عجز وفقر فشفقة فسنة متبعة فثواب عظيم:-**

وكدأبه رحمه الله في الربط بين الخطوة الأولى والثانية أي (العجز والفقر) فقد كان كثيراً ما يربط بين الخطوات الثلاث أي (العجز، الفقر، الشفقة).

فعلى سبيل المثال نجده رحمه الله في رسالة المرضى يؤكد أن شعور العجز والفقر الذي ينتاب المريض يولد لديه ويفجر ينابيع الشفقة والرأفة الإنسانية تجاه أهل المصائب، إذ يقول: (ولكن متى ما انتاب الإنسان المرض وأدرك مدى عجزه، ومدى فقره، تحت ضغوط المرض وآلامه وأثقاله فإنه يشعر بالاحترام بأشقائه المؤمنين اللائقين بالاحترام الذين يقومون برعايته، أو الذين يأتون لعيادته، ويشعر كذلك بالرأفة الإنسانية وهي خصلة إسلامية تجاه أهل المصائب والبلايا – قياساً على نفسه – فتفيض من قلبه الرحمة والرأفة بكل معناهما تجاههم، وتضطرم عنده الشفقة حارة إزائهم، وإذا استطاع قدم لهم يد العون، وإن لم يقدر عليه شرع بالدعاءِ، أو بزيارتهم والاستفسار عن راحتهم وأحوالهم مؤدياً بذلك سنة مشروعة كاسباً ثوابها العظيم).[٤]

إذن العجز والفقر يقودان للشفقة والتي تكون ثمرتها العمل وفق مقتضيات الشرع والسير على السنة المشروعة تجاه أهل المصائب والبلايا، ومن ثم تحصيل الثواب الأخروي.

---

(١) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات. جـ٢ ص٩٩

(٢) المرجع نفسه. المكتوبات. جـ٢ ص٣٨

(٣) المرجع نفسه. اللمعات. جـ٣ ص٣٠٦.

(٤) المرجع نفسه. اللمعات. جـ٣ ص٣٢٩

إن القلب يتبلد في المجتمعات التي تضج بالمرح الدائم، والتي تصبح وتمسي وهي لا ترى من الحياة غير آفاقها الزاهرة، ونعمها الباهرة، والمترفون إنما يتنكرون لآلام الجماهير... والناس إنما يرزقون الأفئدة النبيلة والمشاعر المرهفة عندما يتقلبون في أحوال الحياة المختلفة ويبلون من السراء والضراء... عندئذٍ يحسون بالوحشة مع اليتيم وبالفقدان مع الثكلى، وبالتعب مع البائس الفقير، وبالألم مع المريض.[١]

لذلك فإن الأستاذ النورسي رحمه الله أجاد وبرع في التنبيه على الحكم الاجتماعية للصوم، ذلك أن الصوم يُمَكِّن الأغنياء المترفين من إدراك مدى ألم الجوع والفقر ومدى حاجة الفقراء إلى الشفقة وهو شعور يوصل إلى الشكر والإحسان يقول رحمه الله: (فلولا الصوم لما تمكن كثير من الأغنياء التابعين لأهوائهم أن يدركوا مدى ألم الجوع والفقر ومدى حاجة الفقراء إلى الرأفة والرحمة. لذا تصبح الشفقة على بني الجنس – المغروزة في كيان الإنسان – هي إحدى الأسس الباعثة على الشكر الحقيقي، حيث يمكن أن يجد كل فرد أياً كان من هو أفقر منه من جهة، فهو مكلف بالإشفاق عليه فلو لم يكن هناك اضطرار لإذاقة النفس مرارة الجوع، لما قام أحد أصلاً بإسداء الإحسان إلى الآخرين والذي يتطلبه التعاون المكلف به برابطة الشفقة على بني الجنس).[٢]

فالشفقة المتولدة من الصوم تسمو بالإنسان روحياً في مدارج الشكر وفي ذات الوقت يظهر أثرها المادي على الفقراء بالإحسان المتولد من الشفقة.

**مجالات الرحمة:-**

إن التعاليم الإسلامية وسعت دائرة الرحمة فجعلتها تنتظم الوجود كله، حيث شملت كل كائن حي يمكن أن يشعر بالألم والعذاب، وأكّدت على الرحمة بذوي الأرحام، وبالوالدين والأسرة، والأيتام، والنساء وسائر الضعفاء، وحثّت على الرفق بالحيوان وبكل ذي كبد رطبة.

**شفقة الأم أهم أساس في التربية الإسلامية وأعمال الآخرة:-**

وفي مواضع عديدة من رسائل النور يلفت الإمام النورسي إلى نوع خاص من الشفقة هي شفقة الأم، ويؤكد أنها شفقة مشوبة بإخلاص حقيقي وتضحية وفداء فيقول

---

(١) محمد الغزالي، خلق المسلم. ص٢١٩

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات. جـ٢ ص٥١٥ .

على سبيل المثال في اللمعة الرابعة والعشرون من كتابه اللمعات: إن مما تثبت بطولة النساء في تضحيتهن العظيمة دون انتظار لأجر ولا عوض من دون فائدة يجنينها لأنفسهن ومن دون رياء وإظهار لأنفسهن، هي استعدادهن للفداء بأرواحهن لأجل الولد... وفي الوقت الحاضر، إن ألزم شيء وأهم أساس في التربية الإسلامية وأعمال الآخرة إنما هو (الإخلاص) فمثل هذه البطولة الفائقة في الشفقة تضم بين جوانبها الإخلاص الحقيقي).[١]

ويؤكد رحمه الله أن مسلك الشفقة هو أهم أساس تربوي بل أهم أساس في أعمال الآخرة من تجربته الشخصية يقول رحمه الله: (أقسم بالله أنّ أرْسَخ درس أخذته وكأنه يتجدد عليّ إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي... بل أرى يقيناً أن سائر الدروس تبنى على تلك البذور[٢] بل يمضي رحمه الله أبعد من ذلك فيؤكد أن الشفقة التي هي حقيقة من حقائق رسائل النور نبعت من والدته الرؤوفة، إذ يقول: (إن الشفقة التي هي أهم أساس من الأسس الأربعة[٣] في مسلكي ومشربي في الحياة... وإن (الرأفة والرحمة) التي هي حقيقة عظمى أيضاً من حقائق رسائل النور، أشاهدهما يقيناً بأنهما نابعتان من أفعال تلك الوالدة الرؤوف ومن أحوالها الشفيقة ومن دروسها المعنوية.[٤]

وإن كان الأستاذ النورسي قد خصّ شفقة الأم بنوع من التقدير والامتنان إلا أنه قد لفت الأنظار إلى شفقة الوالدين معاً في مواضع عديدة من رسائل النور. ودعا الأبناء بمقابلة شفقتهما بعاطفة بارة واحترام يقول رحمه الله: (نعم إن الحقيقة التي تستحق احتراماً أكثر ومكانة أسمى في الحياة الاجتماعية هي شفقة الوالدين، وتعويض الأبناء الطيبين لتلك الشفقة، بتوجيه الاحترام اللائق والعاطفة البارة الزكية إليهما، هي لوحة وفية تظهر الوضع الجيد للأبناء وسمو الإنسانية بحيث تثير إعجاب كل المخلوقات حتى الملائكة).[٥]

---

(١) المرجع نفسه. اللمعات. جـ٣ ص٣٠٩ .

(٢) المرجع نفسه. اللمعات. جـ٣ ص٣٠٩ .

(٣) يقصد بذلك : العجز والشفقة والفقر والتفكر .

(٤) النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات. جـ٣ ص٣٠٩ .

(٥) المرجع نفسه. اللمعات. جـ٣ ص٣٣٠ .

إذن فإن هذا النوع من الشفقة المبطن بالإخلاص والفداء والتضحية لهو كفيل بتحقيق السمو الإنساني، بل هو أهم مسلك تربوي، فضلاً عن كونه أساس الحياة الآخرة كما أكد الأستاذ النورسي رحمه الله.

**الشفقة على المرضى والشيوخ وأهل البلايا حقيقة من حقائق رسائل النور:-**

إن المرضى والشيوخ وأهل البلايا والمصائب عامة لهم نصيب وافٍ من (الشفقة والرأفة) المبثوثة في رسائل النور فقد خصص الأستاذ النورسي رحمه الله (اللمعة الخامسة والعشرون) من كتابه اللمعات لبث السلوى ولتخفيف آلام المرضى، وأهل البلاء والمصائب عبر أدوية معنوية نابعة من قلبه الشفيق، داعياً في الوقت ذاته طلاب النور إلى النظر بعين الرأفة والشفقة لأهل البلاء والمرضى مؤكداً أن في ذلك كله إتباع للقرآن والسنة.[١]

وكذا الحال بالنسبة للشيوخ فقد بث فيهم الرجاء والأمل والنور، وخفف عن معاناتهم المعنوية، برسالة تكشف عن شفقته ورأفته، مؤكداً أن هذه الرسالة نابعة من القرآن الكريم. وقد حث طلاب النور إلى الاهتمام بالشيوخ والعجائز وإحاطتهم بالعناية والرعاية والرأفة.[٢]

ولقد وسّع رسول الله صلى الله عليه وسلم دائرة الرحمة في حس الإنسان المسلم فإذا هي تشمل الحيوان أيضاً فضلاً عن الإنسان وذلك فيما كان ينثره على أسماع المسلمين من هدي حكيم فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب فشكر الله له، فغفر له قالوا: وإن لنا في البهائم لأجراً ؟ قال صلى الله عليه وسلم: في كل كبد رطبة أجر).[٣]

---

(١) انظر اللمعة الخامسة والعشرون التي تتألف من خمسة وعشرين دواء التي هي سلوى وبلسم لأهل البلاء ووالمصائب وللمرضى. كليات رسائل، اللمعات. جـ٣ ص٣١٥-٣٣٩ .

(٢) انظر رسالة الشيوخ (اللمعة السادسة والعشرون) في كليات رسائل النور، اللمعات. جـ٣ ص٣٤٠-٤٠٩ .

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب. جـ١٠ ص٤٣٨ .

**الأستاذ النورسي يطالع كتاب الكون بشفقة ورحمة:-**

لقد تصفح الإمام النورسي رحمه الله الجبال والهضاب والمروج المزدهرة بالأثمار والأزهار، والأنهار والعيون والسهول وما فيها من حيوانات بنظراته الدقيقة الواعية وامتلأت نفسه بحبها والشفقة عليها، فيروي في سيرته في (تللو) أنه أطعم النمل من الطعام الذي يقدمه أهل القرية إعجاباً بحياة النمل الاجتماعية، كذلك انتهاره لأحد طلابه لأنه أراد قتل حيوان من الزواحف بالقول: هل أنت الذي أحييته حتى تقتله. ومنع الحارس المرافق له أثناء تغريبه (نفيه) إلى (بارلا) من إطلاق النار على طائر القبج بقوله إنها أيام التفريخ. وكتب في السجن رسالة صغيرة عن (الذباب) متأثراً بقتلها بالمستحضرات الكيميائية. ومعروف عنه تعلقه بوشائج الأنس والإلفة بالموجودات التي تحيط به أينما حل وارتحل ومنها شجرة الدلب أمام بيته في (بارلا).

خلاصة القول أنه ارتبط بوشائج الإلفة بكل ما في الكائنات والموجودات حوله وطوّر علاقته مع المخلوقات كلها على أساس الشفقة والرحمة والحكمة.[١]

وأخيراً فإن كانت تلك الخطوات المباركة هي أسس مسلك النورسي في حل المشاكل فإن فيها في ذات الوقت لذة وسمواً كما يقول الأستاذ الخلوصي - أحد تلاميذ النورسي -: (إن اللذة الكامنة في العجز والفقر، وفي السمو الذي تنطوي عليه الشفقة والتفكر، لا يقاس بشيء إطلاقاً).[٢]

**الخاتمة:-**

من الدراسة السابقة نستطيع أن نخلص إلى:

- أن الخطوات الثلاثة التي بينها الإمام النورسي بجلاء في مواضع متفرقة من رسائل النور وهي - العجز والفقرة والشفقة - هي أسس ومفاهيم مركزية وحقيقة من حقائق رسائل النور وهي فيض إلهي إذ هي مستقاة من القرآن الكريم.

---

(١) أ.د صادق قليج. المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي. ص٧٩٧. ولمزيد من الشواهد على شفقته ورأفته بالكائنات والمخلوقات انظر: كليات رسائل النور، السيرة الذاتية. جـ٩ ص٥٣٤، اللمعات. جـ٣ ص٤١٠ وما بعدها.

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق. جـ٧ ص٣٢ .

– الخطوات الثلاثة هو مسلك يدعو في الأساس إلى عدم تزكية النفس، ونسيان النفس في الحظوظ والأجرة عند خدمة القرآن والتكليف، وإظهار القصور والنقص والعجز والفقر أمام الله.

– أكدّ الأستاذ النورسي على أن الفقر والعجز وسيلتان لإدراك جمال ربوبية الله، وتحقيق عبودية الإنسان.

– عدّ الأستاذ النورسي البلاء والمرض إحساناً ولطفاً إلهياً، إذ هو ضرب من العبادة المعنوية.

– حقيقة العبودية وكمالها عند النورسي: التضرع والحمد والدعاء والخشوع والعجز والاستغناء عن الناس.

– في ظل عجز الإنسان وفقره المطلق – مع غاياته واحتياجاته اللامحدودة – فإنّ الدعاء هو السبيل لمواجهة البلايا والعقبات والمشاكل كما قرر النورسي.

– استطاع الأستاذ النورسي اجتياز كافة العقبات والمشاكل التي واجهته ووقفت أمام خدمته للقرآن وذلك بوقوفه على عتبة الرحمة والقدرة الإلهية بعجزه وفقره، مؤكداً بذلك صحة هذا المسلك في حل المشاكل. فباب النور ينفتح والظلمات والعقبات تبدد بالعجز والتوكل والفقر والالتجاء.

– أكدّ الأستاذ النورسي أن الشفقة توصل إلى اسم الله (الرحيم)، وعدّ الشفقة الأساس الأهم والأسرع للوصول إلى الحق تبارك وتعالى، إذ هي ألطف تجليات الرحمة الإلهية وأجملها.

– أكدّ الأستاذ النورسي على سمو عاطفة الشفقة إذ لا تطلب عوضاً من المشفق عليه وإنما تعبر عن إخلاص حقيقي وفداء وتضحية دون مقابل.

– ربط الأستاذ النورسي كثيراً بين الخطوات الثلاث، فالعجز والفقر يقودان للشفقة والتي من آثارها العمل والسير على السنة المشروعة مع أهل المصائب والبلايا.

– أكدّ النورسي أن شفقة الأم أهم أساس في التربية الإسلامية وأعمال الآخرة. إذ تضم بين جوانحها الإخلاص الحقيقي والتضحية مؤكداً ذلك بتجربته الشخصية.

– دعا الأستاذ النورسي إلى مقابلة شفقة الوالدين ورأفتهما ببر وعطف واحترام.

- تُعد الشفقة على المرضى والشيوخ وأهل البلايا حقيقة من حقائق رسائل النور.

- من يقف على سيرة الأستاذ النورسي الذاتية يلمح أنه كان يطالع ويتصفح كتاب الكون بشفقة ورحمة وحب، فالحيوانات والشجر والهضاب والسهول والجبال والأنهار نالت حظاً وافراً من تلك الشفقة والحب.

**قائمة المراجع والمصادر**


١- القرآن الكريم.

٢- **الإبشيهي**: المُسْتَطرف من كل فن مُسْتَظرف، دار المنار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

٣- **البخاري**: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

٤- **الزحيلي**، وهبة الزحيلي، أخلاق المسلم، دار الفكر، دمشق، ط٤، ٢٠٠٨م.

٥- **سابق**: سيد سابق، دعوة الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.

٦- **عابد**: عابد توفيق الهاشمي، المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي، (ورقة بعنوان إخلاص بديع الزمان النورسي)، استانبول، تركيا، ١٩٩٨م.

٧- **العسقلاني**: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، إخراج وتصويب محي الدين الخطيب.

٨- **الغزالي**: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤م.

٩- **فتح الله**: محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، ترجمة إحسان الصالحي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط، ٢٠٠٥م.

١٠- **فتح الله**: النور الخالد محمد، ترجمة أورخان علي، دار النيل، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

١١- **قرعوش**: كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، دار المناهج، الأردن، ط٤، ١٩٩١م.

١٢- **قليج**: صادق قليج، المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي، ورقة بعنوان نظرة رسائل النور إلى البيئة، استانبول، ١٩٩٨م.

١٣- **محمد**: محمد الغزالي، خلق المسلم، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، ١٩٩٠م.

١٤- **مسلم**: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة (د.ت).

١٥- **المنصورفوري**: محمد سليمان المنصورفوري، رحمة للعالمين، الدار السلفية، الهند، تعريب د. مقتدى حسن الأزهر.

١٦- **النورسي**: بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار (سوزلر) للنشر، استانبول. ج١ الكلمات.

١٧- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٢ المكتوبات.

١٨- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٣ اللمعات.

١٩- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٤ الشعاعات.

٢٠- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٥ إشارات الإعجاز.

٢١- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٦ المثنوي العربي النوري.

٢٢- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٧ الملاحق.

٢٣- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٩ سيرة ذاتية.

٢٤- **النووي**: يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث، قطر، ط٢، ١٩٧٢م.

٢٥- **الهاشمي**: محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، ط، ١٤٢٥هـ.